تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه وأنه سواء منهم من أسر قوله أو جهر به فإنه يسمعه لا يخفى عليه شيء كقوله : { وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى } وقال : { ويعلم ما تخفون وما تعلنون } قالت عائشة Bها : سبحان الذي وسع سمعه الأصوات وا لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم وأنا في جنب البيت وإنه ليخفى علي بعض كلامها فأنزل ا { قد سمع ا قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى ا وا يسمع تحاوركما إن ا سميع بصير } وقوله { ومن هو مستخف بالليل } أي مختف في قعر بيته في ظلام الليل { وسارب بالنهار } أي ظاهر ماش في بياض النهار وضيائه فإن كليهما في علم ا على السواء كقوله تعالى : { ألا حين يستغشون ثيابهم } الاية .

وقوله تعالى : { وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين } .

وقوله : { له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر ا } أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من ورائه وآخر من قدامه فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة أملاك بالليل بدلا حافظان وكاتبان كما جاء في الصحيح [يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون] وفي الحديث الاخر [إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم] .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : { له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر ا } والمعقبات من ا هي الملائكة وقال عكرمة عن ابن عباس { يحفظونه من أمر ا } قال : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر ا خلوا عنه وقال مجاهد : ما من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال له الملك وراءك إلا شيء أذن ا فيه فيصيبه .

وقال الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : { له معقبات من بين يديه ومن خلفه } قال : ذلك ملك من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس وقال العوفي

عن ابن عباس : { له معقبات من بين يديه ومن خلفه } يعني ولي الشيطان يكون عليه الحرس وقال عكرمة في تفسيرها : هؤلاء الأمراء المواكب بين يديه ومن خلفه وقال الضحاك في الاية : هو السلطان المحروس من أمر ا وهم أهل الشرك والظاهر ـ وا أعلم ـ أن مراد ابن عباس وعكرمة والضحاك بهذا أن حرس الملائكة للعبد يشبه حرس هؤلاء لملوكهم وأمرائهم .

وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير ههنا حديثا غريبا جدا فقال حدثني المثنى حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي قال : دخل عثمان بن عفان على رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال : يا رسول ا أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ فقال [ملك على يمينك على حسناتك وهو أمير على الذي على الشمال فإذا عملت حسنة كتبت عشرا وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتبها ؟ قال : لا لعله يستغفر ا ويتوب فيستأذنه ثلاث مرات فإذا قال ثلاثا قال : اكتبها أراحنا ا منه فبئس القرين ما أقل مراقبته وأقل استحياءه منا يقول ا : { ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول ا تعالى : { له معقبات من بين يديه ومن خلفه } الاية وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت رفعك وإذا تجبرت على ا قصمك وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد صلى ا عليه وسلّم وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي وإبليس بالنهار وولده بالليل] .

وقال الإمام أحمد C : حدثنا أسود بن عامر حدثنا سفيان حدثني منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد ا قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة] قالوا : وإياك يارسول ا ؟ قال : [وإياي ولكن ا أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير] انفرد بإخراجه مسلم وقوله : { يحفظونه من أمر ا } قيل : المراد حفظهم له من أمر ا رواه علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس وإليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم وقال قتادة : { يحفظونه من أمر ا } قال : وفي بعض القراءات يحفظونه بأمر ا وقال كعب الأحبار : لو تجلى لابن لادم كل سهل وكل حزن لرأى كل شيء من ذلك شياطين لولا أن ا وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذا لتخطفتم وقال أبو أمامة : ما من آدمي ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له وقال أبو مجلز : جاء رجل من مراد إلى علي Bه وهو يصلي فقال : احترس : فإن ناسا من مراد يريدون قتلك فقال : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه إن الأجل جنة حصينة .

وقال بعضهم { يحفظونه من أمر ا } بأمر ا كما جاء في الحديث أنهم قالوا : يا رسول

ا أرأيت رقى نسترقي بها هل ترد من قدر ا شيئا ؟ فقال [هي من قدر ا] وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن أشعث عن جهم عن إبراهيم قال : أوحى ا إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل : أن قل لقومك : إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة ا فيتحولون منها إلى معصية ا إلا حول ا عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون ثم قال : إن تصديق ذلك في كتاب ا { إن ا لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } وقد ورد هذا في حديث مرفوع فقال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه صفة العرش : حدثنا الحسن بن علي حدثنا الهيثم بن الأشعث السلمي حدثنا أبو حنيفة اليماني الأنصاري عن عمير بن عبد الملك قال : خطبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة قال : كنت إذا أمسكت عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم ابتدأني وإذا سألته عن الخبر أنبأني وإنه حدثني عن ربه D قال : [قال الرب : وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من قرية ولا أهل بيت كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي] وهذا غريب وفي إسناده من لا أعرفه